كتاب الطبقات لخليفة ابن الخياط

م . م . ابتسام رسول حسين
مركزإحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

لقد كان لكتاب الطبقات لخليفة بن خياط أهمية كبيرة حيث أهتم المؤلفون في الرجال والتراجم بهذا الكتاب فنقلوا عنه الانساب وسني الوفيات ، فقد نقل عنه محمد بن سعد في (الطبقات الكبرى) والبخاري في (التاريخ الكبير) والرامهرمزي في (المحدث الفاصل) وابن عبدالبر في كتابيه (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) و(القصد والامم) وابن عساكر في (التاريخ الكبير) وابن الاثير في (أسد الغابة في معرفة الصحابة) وابن كثير في (البداية والنهاية) . وهناك مؤلفون في الرجال فقدت مؤلفاتهم ولكن بعض المراجع تدل على أنهم نقلو عن خليفة وقد تناولت في سجني هذا خليفة بن خياط من حيث حياته وشيوخه ومؤلفاته وسبب وفاته في الفصل الاول .

أما الفصل الثاني فأنني تناولت أسس تنظيم كتاب الطبقات لخليفة بن خياط من حيث التنظيم على النسب ، والتنظيم على الطبقات ، والتنظيم على المدن .

●المؤلف: خليفة بن خياط(شباب)العصفري

هو ابوعمر خليفة بن خياط بن ابي هبيرة خليفة بن خياط العصفري الملقب (شباب)[1] ، ولا تعلم سبب تلقيبه بهذا اللقب أما عن نسبتهُ "العصفري" فهي نسبه الى العصفروبيعه وشراءه[2] .

نشأ شباب في البصرة في بيت علم فقد كان جده أبو هبيره خليفة بن خياط من أهل الحديث ، سمع الحديث من عمر بن شعيب وحميد الطويل ، وروى عنه محدثون كبار مثل عمر بن منصور ووكيع بن الجراح [3] وابو الوليد الطيالسي[4].

وثق يحيى بن معين أبا هبيره خليفة بن خياط بقوله وخليفة بن خياط ثقة [5] . وقد ذكر شباب في طبقاته جده هذا فقال " خليفة بن خياط مات سنة ستين ومائة يكنى أبا هبيره وهو جدي[6].

وقد ذكر أن وفاة جد شباب هذا كانت سنة مائة وستين [7] ، أما والده خياط فقد كان من رواة الحديث أيضاً . وقد روى عنه ابنه خليفة [8] .

وقد ساعد الوسط العلمي الذي نشأ فيه شباب في بيته ومدينته على تنمية معارفه ونقل العلم عن الشيوخ الكثيرين في مدينته ، حيث اخذ عنهم علوم القرآن والحديث والانساب والاخبار .

شيوخه

كان بين شيوخه عدد من كبار المحدثين هم : يزيد بن زريع ، واسماعيل بن سنان أبو عبيد البصري ، وأرطأة بن الحين البناني ، وبكار بن عبد كهس بن الحسن البصري ، وبكر بن سليمان البصري الأسواري ، وعبدالرحمن بن مهدي ، وكهمس بن المنهال ، وأسماعيل بن أميه[9] .

وقد روى عن شباب كثيرون منهم محمد بن أسماعيل البخاري (ت 356هـ) في "التاريخ الكبير" وعبدالله بن احمد بن حنبل ، وابو بعلي الموصلي ، قال الذهبي " يقع لنا حديثه عاليا من مسند أبي بعلي الموصلي [10] ، والحسن بن سفيان النسري ، وابو محمد عبدالله بن أحمد بن موسى بن زياد الاهوازي المقلب "عبدان" [11] .

عقيدته مكانته الاجتماعية

عاصر خليفة انتعاش حركة المعتزلة في خلافه المأمون ، فوقف في صف خصومها بصراحة كما أن بعض المعتزلة بالبصرة رفعوا شكوى على قاضيها أحمد بن رياح الذي تولى القضاء سنة 223هـ ، فأمر القاضي بالشخوص وشخص معه وجوه أهل البصرة منهم أبو الربيع الزهراني وحسين بن محمد الذراع وخليفة بن خياط ، وغيرهم [12] وهكذا وقف خليفة الى جانب القاضي دون ان

يخشى خصومه المعتزلة بالبصرة بل ودون ان يرهب المأمون الذي كان صريحاً في اعتناق آراء المعتزلة والانتصار لها .

وهذا المؤلف يكشف بعض ملامح شخصية خليفة ويبين مدى صلابة عقيدته [13].

كان من وجهاء المدينة وساهم ببعض الاحداث التي وقعت فيها ولم يكن منزوياً ويدل على ذلك كثرة الشيوخ والتلاميذ الذين خالطهم .

فما كان ليتيسر له جمع مادته المنوعة من حديث وقراءه وانساب واخبار لولا روحه الاجتماعية وصلته بعلماء مدينته وسعيه بطلب العلم ، ثم فيما نشره بعد أن اصبح عالماً يقصده الطلاب ويأخذون عنه وقد رويت أخبار عن زيارته لبعض الوافدين على البصرة من علماء الامصار الأخرى .

حدث عبدالرحمن بن رسنه (ت246أو250 هـ) قال وقدمت البصرة فأتا في شباب العصفري فقال لي كيف تحفظ عن عبدالرحمن بن مهدي حديث الباوي بالسلم بريء .

فقلت " ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن ابي اسحق ...الحديث فقال فرجت عني فرج الله عنك انكروا ذلك علي" [14] .

وقول شباب "فرجت عني" يدل على ما كان يلاقيه أحياناً من مضايقة الاقران وانكارهم عليه بعض رواياته ، ولعل بعض ذلك كان يحدث بسبب الحسد والمنافسة في العلم .

وقد روى البخاري عن خليفة منفرداً دون ان يقرنه ولا يعلق حديثه والرواية تتعلق بأمر غيبي عقائدي ، حيث قال : قال لي خليفة بن خياط حدثنا معتمر سمعت أبي عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قال " لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده "

غلبت أو سبقت رحمتي غضبي ، فهو عنده فوق العرش [15] ، وهذه الرواية دليل قاطع على توثيق البخاري لشيخه خليفة بن خياط ، ووصف علي بن المديني من ائمة علماء الجرح والتعديل شباب بأنه شعر يحمل الحديث وقد نسب محمد بن يونس الكديمي الى علي بن المديني قوله " لو لم يحدث شباب لكان خيراً له " [16] ، يطلب منه ان لا يحدث يحي بن معين ، فعصب أبو الوليد : لم لا أحدثه !!! ، وقد ذكر ابن عدي الروايتين السابقتين وفندهما قال " انما يروى عن علي بن المديني الكديمي ، والكديمي لا شيء ، وشباب من متيقظي رواة الحديث ، وله حديث كثير وتأريخ وكتاب في طبقات الرجال ، فكيف يوهن بهذه الحكاية عن علي فيه ، وهو من أصحاب علي ، الا ترى انه حملة الرسالة الى أبي الوليد في ابن معين سيما أذا كان الراوي عن علي محمد بن يونس وهو الكديمي ، فدل هذا على ان الحكاية عن علي باطلة ولخليفة من الحديث الكثير ما يستغني ان أذكر له شيئاً من حديثه وهو مستقيم الحديث صدوق"[17] .

وقال أبوحاتم الرازي وقد سئل عن شباب لا أحدث عنه هو غير قوي كتبت من مسند أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد فأتيت أبا الوليد وسألته عنها فأنكرها وقال :

ما هذه من حديثي .

فقلت : كتبتها من كتاب شباب العصفري ، فعرفه وسكن غضبه (18) وقال ابو محمد بن ابي حاتم الرازي : "أنتهى ابو زرعه الرازي الى احاديث كان اخرجها في فؤائد عن شباب العصفري ملم يقرأ علينا فضربنا عليه وترك الرواية عنه " . وقد روى ابن ابي حاتم حديثا عن شباب العصفري وقال " ولا يعتمد ويحتمل ان يكون شباب قد استكثر من حديث ابي الوليد أفدا من اصوله وكانت تلك الثلاثة مما لا يحفظه ابو الوليد فانكرها " .

ثم لما عرف ان شباباً هو رواها عنه حملها على أنها عنده في أصوله ولكنه لا يحفظها ، وكأنه لهذا الاحتمال أقتصر أبو حاتم على قوله " غير قوي " (19) .

ونخلص من عرض هذه الأقوال الى توثيق شباب فقد وثقه البخاري وعلي بن المديني وابن عدي الجرجاني ، وذكره محمد بن حبان البستي في " الثقات " (20) . وكفاه توثيقاً رواية البخاري عنه في صحيحه .

ثقافته

قيل انه " كان متقناً عالما بأيام الناس وانسابهم " (21) ، وقيل انه في ترجمته " كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وايام الناس عزيز الفضل " (22) .

كما قيل انه " الحافظ الامام ابو عمر العصفري البصري المعروف بشباب محدث نسابه أخباري علامة " (23) .

لقد شملت دراسة خليفة علوم القرآن والحديث والانساب والتاريخ فصنف في هذه العلوم جميعاً كما اهتم ايضاً بعلم قراءة القرآن الكريم وقد ترجم له أبو الخير الجزري مع القراء وقال " روي القراءة عن ورقاء بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء " (24) .

" وروى القراءة عنه أحمد بن ابراهيم بن عثمان الزراق والمغيرة بن صدقه " (25) .

مؤلفاته

من مؤلفات خليفة بن الخياط الكتب التالية :

الطبقات ، التاريخ ، طبقات القراء ، تاريخ الزمني والعرجان والمرضى والعميان ، أجزاء القرآن وأعشاره واسباعه وآياته وقد ذكر ابن النديم ان الخليفة هذه الكتب [26] أما السخاوي فقد ذكر له الكتابين الأوليين فقط [27] .

كذلك فعل الكتابي بعده مع [28] ، ورغم مصنفاته الستة فقد عرف بكتابيه الأوليين "الطبقات" "التاريخ" فقال ابن عدي " له تاريخ حسن وكتاب في طبقات الرجال"[29] .

وعرفه بن خلكان بـ " صاحب الطبقات " [30] وقال الذهبي " صنف التاريخ والطبقات " وقال بن العماد " صاحب التاريخ والطبقات " [31] ، نجد نقولا من مصنفاته الاخرى في الكتب التالية الا بعض احاديث السند التي اوردها البخاري في الصحيح ، والا اشاره واحده الى طبقات القراء اوردها العسقلاني في ترجمته سعيد بن ابي الحسن البصري حيث قال " ذكر خليفة بن خياط في الطبقات الثانية من قراء اهل البصرة [32] .

ولم يصلنا من مصنفاته الا كتابيه الذين عرف بهما " الطبقات " " التاريخ " .

وفـاته

لا نعلم شيئاً عن ولادته لكنه لم يرو عن جده ابي هبيره المتوفي سنة 160هـ مما يدل على صغره حين وفاة جده ، ولعله لم يكن قد ولد بعد ، أما وفاته فقد اختلف فيها فقال مطين مات سنة 240هـ [33] .

كذلك قال محمد بن عبيدالله الحضري [34] .

وذكر ابن كثير انه توفي سنة 240هـ ايضاً وذكر ابن خلكان انه توفي في شهر رمضان سنة ثلاثة ومائتين ، ونقل عن ابن عساكر انه توفي سنة مائتين وأربعين[35] .

وذكر ان وفاته سنة ثلاثين وقيل سنة أربعين أو ست واربعين ومائتين .

فوفاته اذا في رأي المؤرخين اما ان تكون في سنة 230هـ أو 240هـ أو 246هـ ، فأما سنة 230هـ فوهم لأنه يذكر في كتابه (الطبقات) من كانت وفاته سنة 236هـ كما وصل في كتابه الاخر (التاريخ) الى حوادث سنة 232هـ ، فلا يمكن ان تكون وفاته اذاً في سنة 230هـ بقيت سنة 240هـ وسنة 246هـ ، والفرق بينهما ليس شاسعاً ، ولكني ارجح ان وفاته كانت سنة 240هـ ، لأن ذلك قول القدماء القريبين من وقته ، وتبناه ابن عساكر والذهبي ، أما تاريخ وفاته في سنة

246هـ فاقدم من ذكره ابن خلكان [36] بصيغة التمريض ولم يتبناه سوى إسماعيل باشا البغدادي وهو متأخر .

أسس تنظيم طبقات خليفة

أتبع خليفة بن خياط في تنظيم مادة كتابه (الطبقات) الأسس الثلاثة التالية :

١ -تنظيم على النسب .

٢ -التنظيم على الطبقات .

٣ -التنظيم على المدن .

أولاً : التنظيم على النسب

كان للأنساب أهمية كبيرة عند العرب في الجاهلية فاحتموا بحفظها وكان شعرهم الذي يكون الشطر الأكبر من أدبهم يحتوي على ثروة من علم النسب ولا شك ان حياة البداوة التي جعلت من القبيلة أكبر وحدة اجتماعية وسياسية في حياتهم لها دخل كبير في اهتمامهم بالأنساب اذ لا بد لأفراد القبيلة من معرفة مفاخر أبائهم وأجدادهم وأصالة أنسابهم .

كما لابد لهم من معرفة مثالب القبائل الأخرى فبذلك يوفرون مادة لأهم أغراض شعرهم الفخر والهجاء .

وقد استمر الاهتمام بالأنساب بعد ظهور الاسلام وانتشاره وقيام دولته ، فلم يمنع الاسلام الاهتمام بالأنساب وان كان قد قاوم العصبية القبلية وعصبية الجاهلية ذلك لأن العصبية شيء ومعرفة الأنساب شيء أخر فقد حث القرآن الكريم الناس على التعارف كما في قوله تعالى" يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقاكم " [37]. ولا يكون التعارف دون معرفة الأنساب وقد نسب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) نفسه ، حيث كان (صلى الله عليه وآله) يعرف أنساب قبائل العرب وربما نسب بعض اصحابه ، قال " عمرو بن مرة الجهني كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : من كان من مصر فليقم فقمت فقال لي أجلس فعل ذلك ثلاثاً ، قلت يارسول الله ممن نحن ؟ قال أنتم من قضاعه بن مالك بن حمت بن سبأ" .

كما نسب أيضا سعد حين سأله " من أنا يا رسول الله ؟ قال انت سعد بن مالك بن وهيب بن مناف بن زهرة ، من قال غير ذلك فعليه لعنة الله " [38] . وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يحث

على تعلم علم الانسان وقد حث على تعلمه [39] اذ ان قسم من احكام الشرع يحتاج تطبيقها الى معرفة الانساب ، ولذلك كانت معرفة بعض الانساب فرضاً على المسلمين كمعرفة نسب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ومعرفة ان الخلافة لا تجوز الا في قريش فلو جهلت الانساب لأمكن ادعاء الخلافة لمن لا تحل له ، وكمعرفة الانسان أباه وأمه وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمه لما يترتب على ذلك من احكام الزواج [40].

لقد رتب ديوان الجند الذي أنشأه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على القبائل ، وقد راعى عمر القرابة من النبي (صلى الله عليه وآله) في تسلسل القبائل التي سجلها فقدم جني هاشم على غيرهم من العشائر القرشية ، وقدم قريش على غيرها من القبائل العربية ، وقد أصبح هذا التسلسل في الترتيب العشائر أساساً اتبعته كتب النسب التي كتبت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فيما بعد ويمكن اعتبار ديوان الجند أو تقييد شامل للأنساب وكانت الحاجات العملية للدولة هي التي ادت الى ظهوره.

وقد اعطت السابقة في الاسلام والمشاركة في الغزوات الأولى مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله) اصحابها مكانة مرموقة بين المسلمين ، وهذا ما حدث للمهاجرين الأولين والبدريين والأمديين واهل بيعة العقبة وقد أمتدت اثار ذلكالى ابنائهم واحفادهم فأهتم هؤلاء بحفظ انسابهم والتعريف بها وكذلك ان اهل السابقة في الجهاد وتمتعوا بامتيازات أقتصادية ايضا في زمن الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)[41].

وقد ظل التماسك القبلي قوياً عندما استقر العرب في الامصار المفتوحة فكانت خطط الامطار (كالبصرة ، والكوفة) قائمة على اساس قبلي حيث سكنت كل عشيرة في موضع خاص بها [42].

وكانت القبيلة هي الوحدة العسكرية في ميادين القتال ، كما كانت اساساً للتنظيم الاجتماعي والاداري في الامصار [43].

هذه العوامل جعلت معرفة الانساب ضرورة دينية واجتماعية وعسكرية وادارية فاستمر الاهتمام بها حتى برز في ظل الدولة الاسلامية عدد من كبار النسابين الذين يعتمدون على ذاكرتهم قبل بدء تدوين الانساب منهم جيل الصحابة ابو جهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوى احد اربعة كانت قريش تأخذ منهم علم النسب[44] .

وقد استمر اهتمامه بالانساب بعد اسلامه ، وجبير بن مطعم بن عدي الذي كان من اعلم الناس بالأنساب[45] .

وعبيد بن شريه الذي اشتهر بمعرفة انساب واخبار اليمن وغيرهما [46].

ثانيا:التنظيم على الطبقات .

اعتبر هذا التقسيم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والخلفاء طبقة أولى والصحابة طبقة ثانية وألحق بهم من أسلم قبل الفتح ، ولم يذكر ابن سعد من أسلم بعد الفتح حيث يكونون حسب ترتيبه الطبقة الثالثة أما التابعون فتختلف طبقاتهم بين المدن ولكنه بصورة جعلهم ثلاث طبقات وربما بلغ أربع طبقات(47).

ولكن التمييز بين التابعين واتباع التابعين ومن بعدهم في طبقات ابن سعد عسير الاعلى من له معرفة واسعة بالرجال ، لانه سرد طبقاتهم جميعاً بتعاقب ولم يفصل بينهم كما فعل في تمييز الصحابة عن غيرهم .

ان التدقيق يدل على ان خليفة بن خياط ومحمد بن سعد كليهما لم يعتبرا سني الوفيات اساس يعتمدانه في التقسيم على الطبقات فالتداخل كبير بين سني وفيات تراجم الطبقات المتتالية ففي طبقات خليفة نجد ان وفيات الطبقة الرابعة من البصريين مثلاً تتراوح بين (110– 155هـ) بينما وفيات الطبقة الخامسة تتراوح (128–132هـ) كذلك تتراوح وفيات الطبقة السادسة منهمبين (136– 156هـ) في حين تتراوح وفيات الطبقة السابعة منهم (149–155هـ) وأما في طبقات ابن سعد فتتراوح وفيات الطبقات الاولى من الكوفيين مثلاً بين (63– 115هـ) تتراوح وفيات الطبقة الثانية منهم (83-111هـ) وهكذا جعل في الطبقة الاولى من تأخرت وفياتهم من اهل الطبقة الثانية ، فالتقسيم على الطبقات اذا لا يقوم على اعتبار سنين الوفيات في هذه الفترة المبكرة (48).

ان كتابي خليفة بن الخياط ومحمد بن سعد في تراجم المحدثين وقد وضعا لخدمة علم الحديث ومن ثم فقد جاء ترتيب كتابيهما على الطبقات ملائما لهذا الغرض حيث استعملا الطبقة للدلالة على القوم المتشابهين من حيث اللقاء والسن وبعبارة أدق من حيث تقاربهم في السن وفي الشيوخ اللذين أخذو عنهم .

وان التقارب في السن هنا لا يتناقض مع قولي ان الطبقات لم تعتبر الوفيات اساساً تقوم عليه اذ من الطبيعي ان من يلقى كبار الصحابة يكون متقدما في السن وتتقدم وفاته في العادة على وفاة من يلقى صغار الصحابة ، ولذلك نجد ان وفيات الطبقات الأولى غالبا ما تتقدم على وفيات الطبقات التالية .

ان عدم اعتبار سني الوفيات أساساً للتقسيم على الطبقات هو الذي جعل الطبقة في فترة النشأة لا تتخذ مفهوم لوحدة الزمنية الثابتة ، فترة تكون حوالي عشرة سنوات ، وأخرى تقارب العشرين سنة وثالثة في حدود الجيل وربما تجاوزته [49] .

ان التمييز بين طبقات الصحابة والتابعين ومن بعدهم لها علاقة بنقد اسناد الحديث فهي وسيلة لمعرفة ما في الحديث من ارسال أو أنقطاع [50].

اوعضا او تدليس وبمعرفة طبقات الرواة أيضا يمكن التمييز بين الاسماء المتشابهة والمنفقة، فقد يتفق اسمان في اللفظ فيظن ان أحدهما الآخر فأذا اردنا التمييز بينهما فينبغي معرفة طبقتيهما أن كانا من طبقتين ، فان كانا من طبقة واحدة فربما أشكل الأمر وربما عرف ذلك بمن فوقه أو دونه من الرواة ، فربما كان أحد المتفقين في الاسم لا يروى عمن روى عنه الاخر فان اشتركا في الراوي الاعلى وفيمن روى عنهما فالاشكال حينئذ أشد ، وأنما يميز ذلك أهل الحفظ والمعرفة [51] .

ان فائدة التقسيم على الطبقات تتم لو أتبع المصنفون تقسيم واحد ، ولم يتباين عدد الطبقات بين مصنف وآخر فتباين عدد الطبقات عندهم يجعل النسبة الى الطبقة ليست مطلقة بل تتقيد بطريقة كل مصنف ، فلم يعد بالامكان ان نكتفي بالقول مثلاً ان عبدالرحمن بن ابي الزناد في الطبقة السادسة من أهل المدينة فهو كذلك عند ابن سعد فقط ام في طبقات خليفة فهو في الطبقة الثامنة.

رغم المآخذ على نظام الطبقات الا انه كان ملائما لأغراض الحديث التي ابتكر من أجلها ، ومن ثم فأن استعماله لم يقتصر على خليفة بن خياط ومحمد بن سعد بل استعمله معاصرون لهم ومتأخرون عنهم ، واستمر التقسيم على الطبقات اساساً تتبعه المصنفات في الرجال حتى القرن الثامن الهجري.

وقد امتد استعمال نظام الطبقات الى كتب التراجم ، وقد رتب ابن الجوزي كتابه الصفوة [52] على الطبقات متبعاً طريقة ابن سعد حيث اعتبر السابقة في الاسلام فقسم الصحابة الى خمس طبقات ثم ذكر التابعين ومن بعدهم على الطبقات أيضا ، ويتداخل التنظيم على الطبقات مع التنظيم على المدن حيث يذكر الطبقات ضمن المدينة الواحدة ، وبذكر انه فعل ذلك تسهيلاً للطلب على الطالب [53].

ان الترتيب على الطبقات استمر في ميدانه الاصل فرتبت بعض كتب الرجال على الطبقات حتى فترة متأخرة .

ان ابرز من اهتم بنظام الطبقات في القرن الثامن الهجري هو الحافظ الذهبي (ق 748هـ) في كتبه (تذكرة الحفاظ) و(تاريخ الاسلام) و (المجرد في أماء رجال كتاب ابن ماجه) . ففي الثالث هذه الكتب نجده يرتب الرجال على الطبقات ويسمى الطبقة بأسم احد الاعلام البارزين فيها ، فيقول

طبقة الاعمش وابن عون ، طبقة الزهدي وايوب ، طبقة ابن المسيب ومروق ، الا ان هذه الطبقات ليست مرتبة على اساس زمني كما هو شأن كتب الطبقات الاخرى ، بل اكتفى بتجميع من هم من طبقة واحدة ، اما كتابه (تذكرة الحفاظ) فهو كما يدل عنوانه في تراجم الحفاظ فقط ، وليس كتابا شاملاً لرواة الحديث وقد قسم الحفاظ حتى عصره الى احدى وعشرين طبقة واعتبر في ذلك اللقبا ، وقلما أعتبر سني الوفيات (54) . التي نلاحظ تداخلها بين الطبقات المتتالية .

ثالثاً:التنظيم على المدن

أن اقدم ما وصل الينا من كتب الرجال التي اتبعت التنظيم على المدن كتاب (الطبقات) لخليفة بن الخياط ، فكانت رقعة العالم الاسلامي لجدوده المترامية ميدانا فسيحاً لدراساته على ان نصيب المدن في كتابه كان يتوقف على مكانتها العلمية ومدى نشاط الرواية فيها ، فكلما كان عدد علمائها كثيرا وكانت الرواية فيها نشيطة كلما خصص لها المصنفون نصيبا أوفر في كتبهم .

لذلك كان خط المدينة وافر في هذه المصنفات جميعاً فقط خصص لها . خليفة بن خياط اكثر من ثلث كتابه ، وان سبب اعطاء المدينة هذه الاهمية لكثرته العلماء ونشاط الرواية فيها فيها وتفوقها على مراكز العلم الاخرى في العالم الاسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة على الاقل . ولا عجب في ذلك لان المدينة دار السنة فيها تجمع الصحابة في حياة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) عن طريق الهجرة حيث تلقوا الرواية عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فكانوا مصادر العلم لمن جاء بعدهم من حملة العلم ورواة الاثار .

ومن المدينة انتشر العلم الى حيث ذكر خليفة بن خياط الصحابة والتابعين ثم أنتقل بعدها مباشرة الى الكلام عن الكوفة قبل ان يتم طبقات اهل المدينة ، ولا يعود الى ذكر التابعين ومن بعدهم من اهل المدينة الا بعد ان ينهي علامة عن اهل الكوفة بكافة طبقاتهم ثم ينتقل الى البصرة فيذكر بقية طبقاتهم ، ولعله أراد ان يتم المادة المتعلقة بالصحابة فلاحقهم الى الامصار التي استقروا فيها باعداد كثيفة وثمة ظاهرة اخرى تبرز عند خليفة هي انه لم يراع العامل الجغرافي كثيراً في تسلسل المدن التي ذكرها فهو يقفز من مكان الى آخر فقد انتقل من الحجاز الى العراق ثم عاد الى الحجاز وذلك لم يتناول واسط وبغداد (55).

بعد الكوفة والبصرة بل ذكرهما في آخر كتابه ولعله اعتبر في ذلك المكانة العلمية حيث ان واسط وبغداد تأخرت عمارتهما وبالتالي تأخر ازدهار الرواية فيهما عن المدن الاخرى . وقد أهمل خليفة بن

خياط بعض الاماكن منها (همدان ، قم ، الانبار ، البحرين ، الثغور ، وآيلة ، والاندلس) . ولكنه أضاف اماكن جديدة وهي (الموصل ، المغرب) وقد تناول المغرب بشيء من التفصيل .

وكان خليفة بن خياط واسع الافق شامل النظرة حيث جعل رقعة العالم الاسلامي ميدانا لدراساته ولا شك ان للرحلة في طلب العلم أثر كبير في امتزاج علم الامصار المختلفة .

فقد بدأت الرحلة في طلب العلم في جيل الصحابة ، فكان الصحابي يرحل في طلب حديث واحد لم يسمعه عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله)أو للتثبت من حديث يشك في دقة حفظه له ، ومن عرف بالرحلة من الصحابة جابر بن عبدالله [56] ، وابو أيوب الانصاري [57] .

واستمرت الرحلة في جيل التابعين لتلقي العلم عن الصحابة الذين تفرقوا في الامصار عقب الفتوحات ، واصبح طلب الاسناد العالي هذفا للمحدثين فبدل ان يأخذ عن تابعي من طبقته فأنه يرحل الى الصحابي الذي أخذ عنه التابعي فيأخذ عنه مباشرة ، وكان لظهور الوضع في الحديث أثر في تنشيط هذه الرحلات العلمية طلباً للحديث من مصادره وبحثاً عن اصوله وقد اشتهر بذلك من التابعين سعيد بن المسيب ، وممسروق ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري ، وابو العالية الرياحي [58] .

وقد أتسع نطاق الرحلة في طلب العلم بعد جيل التابعين وبلغ أوجه في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

الخاتمة

لقد كان ابن الخياط من السباقين في تأليف كتاب خاص بالطبقات استطاع المؤلفين الاستفادة منه الى يومنا هذا حيث انه قد أدرك اهمية النسب وبالتالي قسم حسب النسب خصوصاً وان العرب كانت اعرف بانسابها وعشائرها كما انه قسمها الى طبقات لتسهيل دراسة كل طبقة على حدى كطبقة الفقهاء الصحابة وقسم ايضاً على اساس المدن فقسم المدن حسب اهميتها الدينية والثقافية والعلمية .

الهوامش

(١) البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت256هـ) ، التاريخ الكبير ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ج1 ، ص 176 .

(٢) العصفرة – مادة تصبغ بها الثياب لتصبح حمراء اللون .

(٣) العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت 852هـ) ، تهذيب التهذيب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية النظامية ، حيدر اباد (الدكن 1325 – 1327هـ)، ج3 ، ص161 .

(٤) السمعاني ، ابي سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (562هـ) ، الانساب ، مكتبة المثنى طبعت بالاوفست 1970م ، ج2 ، ص322.

(٥) الصفدي ، خليل أيبك (ت764هـ) ، الوافي بالوفيات بيروت (د.ت) ، ج8 ، ص25 .

(٦) بن خياط ، خليفة بن خياط ، بن ابي هبيرة خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ) ، طبقات بن الخياط ، ص60.

(٧) العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، المصدر السابق ، ص16.

(٨) البخاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص20 .

(٩) المصدر نفسه ، ج1،ص59 .

(١٠) الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (748هـ) ، تذكرة الحفاظ ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة (د.ت) ، ج2، ص436.

(١١) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص14-15 .

(١٢) وكيع ، محمد بن خلف (310هـ) ، اخبار القضاة ، تحقيق عبدالعزيز مصطفى ، مطبعة بغداد ، ج 2 ، ص175 .

(١٣) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص45.

(١٤) المصدر نفسه ، ج2 ، ص66-67 .

(١٥) البخاري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص196 .

(١٦) العسقلاني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص161.

(١٧) ابن الاثير ، عزالدين علي بن محمد (ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار بيروت 1975م ، ج3 ، ص123-124 .

(١٨) الرازي ، محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم (ت 327هـ) ، الجرح والتعديل ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (1270-1952م) ،ج2 ، ص378-379 .

(١٩) ابن ابي حاتم ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص378 .

(٢٠) العسقلاني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص160-161 .

(٢١) المصدر نفسه ، ج3 ، ص160 .

(٢٢) ابن خلكان ، المصدر السابق .

(٢٣) الذهبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص436 .

(٢٤) ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت385هـ) ، الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص21 .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص337 .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص338 .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص339 .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص340 .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص341 .

(٣٠) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص14 .
(٣١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، المصدر السابق ، ج2 ، ص436 .
(٣٢) المصدر نفسه ، ج2، ص94 .
(٣٣) الذهبي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص436 .
(٣٤) العسقلاني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص161 .
(٣٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج2 ، ص14 .
(٣٦) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص438 .
(٣٧) صورة الحجرات الاية 13 .
(٣٨) خليفة ، الطبقات ، المصدر السابق ، ص32 .
(٣٩) ابن حزم ، علي بن احمد الظاهري (456هـ) ، جمهرة انساب العرب ، دار الندوة الجديدة (بيروت 1350هـ) ، ج2 ، ص5-6 .
(٤٠) المصدر نفسه ، ج2 ، ص3-4.
(٤١) المصدر نفسه ، ج2 ، ص7-8.
(٤٢) ابن سعد ، محمد (ت230هـ) ، الطبقات الكبرى ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ج3، ص 282-296.
(٤٣) زي ، احمد كمال ، الحياة الادبية في البصرة ، مطبعة بيروت ، ص27-29 .
(٤٤) احمد كمال ، المصدر نفسه ، ص30-31 .
(٤٥) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص136 .
(٤٦) المصدر السابق ، ص137 .
(٤٧) المصدر السابق ، ص137- 138 .
(٤٨) ابن سعد ، الطبقات ، المصدر السابق ، ج3 ، ص53 .
(٤٩) المصدر نفسه ، ج3 ، ص54 .
(٥٠) المصدر نفسه ، ج3 ، ص123.
(٥١) الذهبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص122 .
(٥٢) المصدر نفسه ، ج3 ، ص123 .
(٥٣) الذهبي ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص133 .
(٥٤) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص455 .
(٥٥) علل الذهبي ، ذلك يتقدم سنة وفاة زيد (انظر تذكرة الحفاظ المصدر السابق) ، ج1 ، ص140 .
(٥٦) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج3 ، ص9 .
(٥٧) البخاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص29 .
(٥٨) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج3 ، ص332 .

• المصادر:

١ –البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت256هـ) ، التاريخ الكبير ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد .

٢ –ابن خلكان ، ابو العباس احمد بن محمد (ت681هـ) ، وفيات الاعيان ، مطبعة السعادة (القاهرة1948م) .
٣ –العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت 852هـ) ، تهذيب التهذيب مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية النظامية ، حيدر آباد (الدكن1325- 1327هـ) .
٤ –السمعاني ، ابي سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ) ، الانساب، مكتبة المثنى طبعت بالاوفست1970م .
٥ –الصفدي ، خليل أيبك (ت 764هـ) ، الوافي بالوفيات (بيروت ، د.ت) .
٦ –الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (748هـ) ، تذكرة الحفاظ ، مطبعة دار المعارف (القاهرة ، د.ت) .
٧ –الرازي ، محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم (ت 327هـ) ، الجرح والتعديل ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية 1271 –1952م .
٨ –ابن الاثير ، عزالدين علي بن محمد (ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار بيروت 1975م .
٩ –ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت385هـ) ، فهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .
١٠ –ابن حزم ، علي بن احمد الظاهري (456هـ) ، جمهرة انساب العرب ، دار الندوة الجديدة (بيروت 1350هـ) .
١١ –ابن سعد ، محمد (ت230هـ) ، الطبقات الكبرى ، (مطبعة حجازي القاهرة).
١٢ –ابن الخياط (بن ابي هبيرة خليفة بن خياط العصفري ت240هـ) ، طبقات بن الخياط .
١٣ –زي ، احمد كمال ، الحياة الادبية في البصرة ، مطبعة بيروت .
١٤ –وكيع ، محمد بن خلف (ت310هـ) ، أخبار القضاة ، تحقيق عبدالعزيز مصطفى (مطبعة بغداد).

خلاصة انكليزي:

I had to book classes for Khalifa bin tailor of great importance where interested authors in men and translations of this book Vengulwa his genealogy and Sunni death, he was quoted Mohammed bin Saad (classes major) and Bukhari (great history) and Alramehrmazi in (the updated interval) and the son of Abdalber in books (absorption in the knowledge of mates) and (intended and United) and son pawns in (great history) and the son of ether in (a lion in the jungle companions know) and Ibn Kathir in (the beginning and end). There are authors in the men lost their books, but some references indicate that they Move for a successor has addressed this in prisons Khalifa bin tailor in terms of his old and his writings and the cause of death in the first quarter. The second chapter then I dealt with the foundations of the organization of the book Khalifa bin layers to tailor the organization in terms of percentages, and organization of classes, organization of cities.